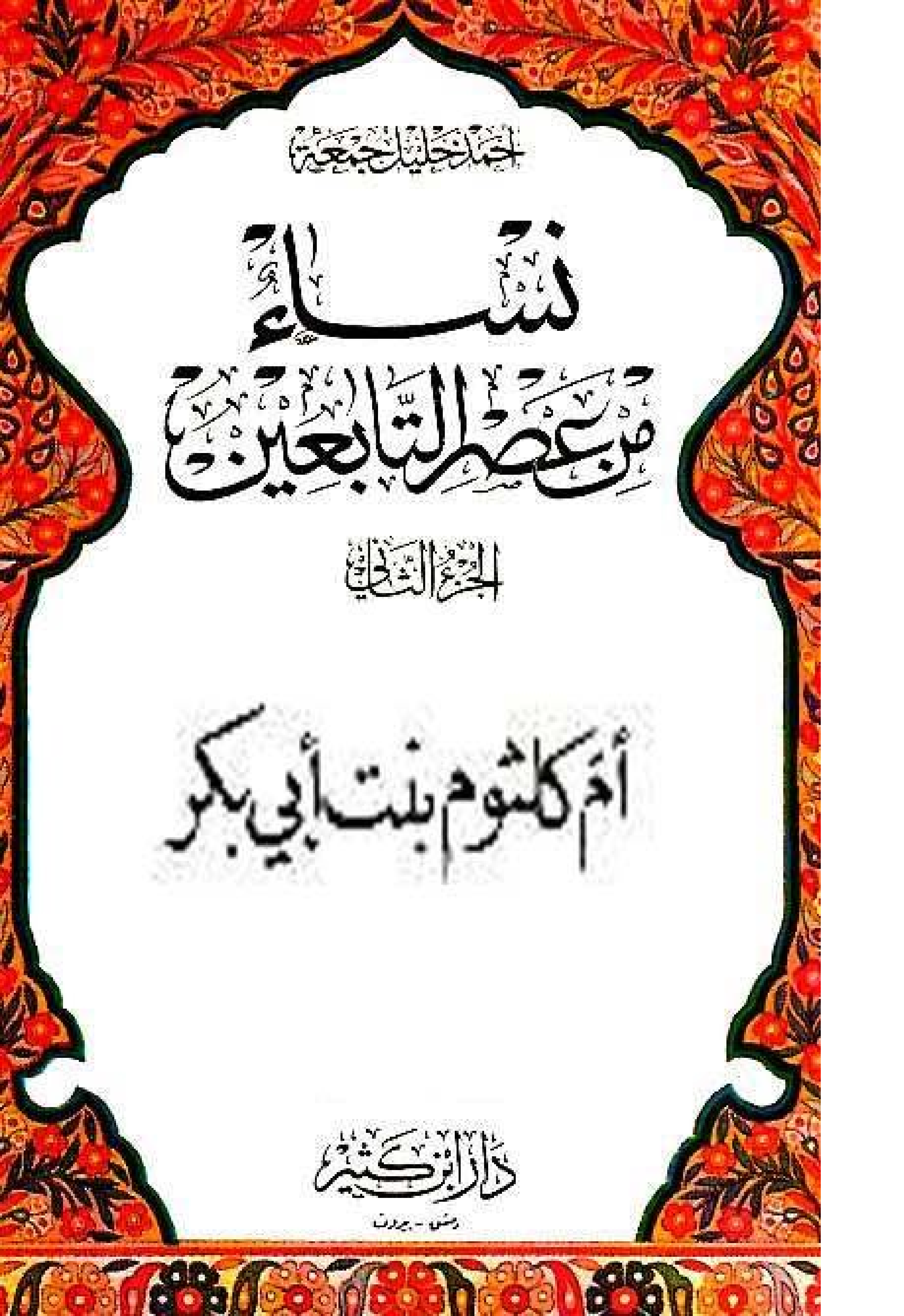

أحمد خليل جمعة
نساء من عصر التابعين
الجزء الثاني
أم كلثوم بنت أبي بكر
دار ابن كثير
دمشق - بيروت

(١)

أم كلثوم بنت أبي بكر

* عندما كانت أم كلثوم جنيناً في بطن أمها قال أبوها أبو بكر لعائشة : استوصي بها خيراً .

* وقال لها زوجها طلحة الفيّاض :
إنك مُوفَّقة بنت مُوفَّق .

أمُّ كُلثُوم بنْتُ أَبِي بَكْرٍ

أبْوابُ المَكارِمِ :

* جُمِعَتْ لهذه التَّابعية من الفضائل ما لم يُجمع لامرأةٍ سواها ؛ فيمن عاصرها من نساء التابعين .

* فصهرُها : أفضل خلقِ الله على الإطلاق ، محمّد رسول الله ﷺ ، زوج أختها عائشة ــ رضي الله عنها ــ .

* وأبوهَا : ثاني اثنين إذْ هما في الغار ، ومجمع كلّ فضيلة ، الصّدّيق الأوّلُ ، والخليفة الأولُ ، سيِّدنا أبو بكر الصّدّيق ــ رضي الله عنه ــ ، الذي قال فيه القائل فأجاد :

لا تُفضّلْ على العتيق صديقاً
فهو صدّيق أحمدَ المختار
وإنْ ارتبْتَ في الأحاديث فاقرأ
« ثاني اثنين إذ هما في الغار »

* وجدُّها لأبيها : أبو قحافة ، صحابيٌّ وأبو صحابيٍّ ــ رضي الله عنهما ــ .

* وجدَّتُها لأبيها : أمُّ الخير سلمى بنت صخر ، صحابية قديمة

الإسلام ـ رضي الله عنها ـ[1] .

* وأختُها : عائشةُ أمُّ المؤمنين ، الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق الأكبر ، زوجة النبيِّ ﷺ ، أفْقَه نساء الأمّة على الإطلاق ـ رضي الله عنها ـ .

* وأختُها الأخرى : أسماءُ بنت أبي بكر ذات النِّطاقين ـ رضي الله عنها ـ .

* وإخوتها لأبيها : عبد الرحمن ، وعبد الله ، ومحمّد ، من فرسان مدرسة النّبوّة ، ومن أبطال المسلمين ، ومن الشُّجعان المذكورين .

* أمّا زوجها : فهو سِلْف النّبيّ ﷺ ، وممن سبق إلى الإسلام ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنّة ، وأحد الأخيار الأجواد سيدنا طلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنه ـ .

* وأمّا التّابعية صاحبة هذه المكارم ، ومَنْ نستمتع بسيرتها فهي أمّ كلثوم بنت أبي بكر الصّدّيق ، وأمُّها حبيبة بنت خارجة الأنصاريّة الخزرجيّة[2] ، تزوّجها أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ في الإسلام .

* وكان لأمّ كلثوم هذه شأْن وهي ما تزال حَمْلاً في بطن أمّها ، حيث إنّ أبا بكر الصّدّيق أوصى بها أختها عائشةَ وصيةً تدلُّ على فِراسَتِه وإكرام الله عزَّ وجلَّ له ، ونحن إن شاء الله مرسلو القول في هذا .

* * *

(1) اقرأ سيرة سلمى بنت صخر أم سيدنا أبي بكر في كتابنا « نساء من عصر النبوة » الجزء الأول .

(2) الطّبقات (٤٦٢/٨) ، ونسب قريش (ص ٢٧٨) ، وتاريخ الإسلام (١٣٦/٤) ، وتهذيب التهذيب (٤٧٧/١٢) .

« اسْتَوْصِيْ بِهَا خَيْراً » :

* كان سيّدنا أبو بكر الصّـدّيق ـ عليـه سحائب الرّضوان ـ قد وَهَبَ لابنته عائشـة ـ رضي الله عنها ـ أرضاً بالعالية[1]، وكان النّبيُّ ﷺ أعطاه إياها فأصـلحها وغرس فيها ، ثم جعلها لابنته أمّ المؤمنين ـ رضي الله تعالى عنها ـ ؛ فلما حضرته الوفاة ـ وكانت زوجته حبيبة حاملاً ـ فكّر في ردّ المال على ورثته ، وكان شديد الحرص على أنْ يدع هذه الدّنيا بريئاً ، وعلى أنْ يلقى الله عزّ وجلّ وقد ألقى عن نفسه كلّ ما يخشى أنْ يؤاخذه اللهُ عزّ وجلّ به ، عندئذ دعا ابنته عائشة ـ رضي الله عنها ـ وقال لها :

يا بنية ، إنّ أحبَّ النّاس غنىً إليّ بعدي أنتِ ، وإنَّ أعزّ النّاس عليّ فقراً بعدي أنتِ ، وإنّي كنتُ نحلْتُكِ ـ أعطيتُكِ ـ أرضي التي تعلمين ، وإنّك لم تحوزيها ، وأنا أُحبُّ أن ترديها عليّ فيكون ذلك قسمة بين ولدي على كتـاب الله عزّ وجلّ ؛ فإنّمـا هو مال الوارث ، وإنّما هما أخواك وأختاك .

قالت عائشة ـ رضوان الله عليها ـ : هذه أُختي أسماء قد عرفتها ، فمنِ الأُخرى ؟ ! .

قال ـ رضوان الله عليهِ ـ : ذو بطن ابنة خارجة ، قد أُلقيَ في رُوعي أنّها جاريةٌ ؛ فاستوصي بها خيراً .

---

(١) « العالية » : اسم لكل ما كان من جهة نجد إلى المدينة المنورة من قراها وعمايرها إلى تهامة .

فكانت كما قال ، ووُلدت أمُّ كلثوم بعد موته ـ رضي الله عنه ـ[1] .

* ومن الجدير بالذِّكر أنَّ أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ قد ورثه أبوه أبو قحافة ، وزوجتاه : أسماء بنت عميس ، وحبيبة بنت خارجة ، وأولاده : عبد الرحمن ، ومحمد ، وعائشة ، وأسماء ، وأم كلثوم[2] .

* * *

أُمُّ كُلثوم وَتربِيَةُ عائِشَةَ :

* حافظت أمُّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ على وصيةِ أبيها ، وحفظَتْها في أختها أمّ كلثوم ـ وكانت بها مستوصية ـ فلما شبت أمُّ كلثوم عن الطُّوق ، أخذت عائشةُ ـ رضي الله عنها ـ ترعاها رعاية الأم الرّؤوم ، وتحفظها من كلّ ما يدعو إلى إزعاجها ، وراحت تعلمها وتلقنها المعارف ، حتى تخرّجتْ من مدرستها الفِقْهية والحديثية وروت عنها ، وأضحت من حافظات حديث رسول الله ﷺ ، ومن النّسوة الثّقات اللاتي يؤخذ عنهن الحديث .

* وقد روى عن أمّ كلثوم بنت أبي بكر جَمْعٌ من أهل العلم والمعرفة والفضل ، وفي مقدمتهم : سيّدنا جابر بن عبد الله الأنصاري الصّحابي المشهور ، وهو أكبر منها ، وهي من التّابعيات اللواتي روى عنهن الصّحابة .

---

(١) انظر المصادر التالية بعد الجمع بينها : الطبقات (٣/١٩٤ و ١٩٥) ، ونسب قريش (ص ٢٧٨) ، والحيوان للجاحظ (٦/٥٠) .

(٢) الطبقات (٣/٢١٠) ، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣/١٢٠) .

* وروى عنها ابنها : إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، وطلحة بن يحيى بن طلحة ، والمغيرة بن حكيم الصَّنعاني[1] ، وجُبير بن حبيب ، وغيرهم[2] .

* وروى لها الإمام مسلم في الصَّحيح ، والترمذي في السُّنن . ومن مروياتها ما أخرجه الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن المغيرة بن حكيم الصُّنعاني ، عن أمّ كلثوم بنت أبي بكر أنّها أخبرته عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت :

أَعْتَمَ النَّبيُّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ حتى ذهب عامَّةُ الليل ، وحتى نام أهلُ المسجد ، ثم خرج فصلى ؛ فقال : « إنَّه لوقتُها لولا أنْ أشقَّ على أمتي »[3] .

* * *

أَتَرْغَبِيْنَ عَنْ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ ؟ :

* كان عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه ـ صاحب الأمر في الجزيرة

(١) المغيرةُ بن حكيم الصَّنعاني التَّابعيّ ، روى عن أبيه وابن عمر وأبي هريرة ، وأم كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، وفاطمة بنت عبد الملك ؛ وروى عنه مجاهد ، ونافع مولى ابن عمر ، وعمرو بن شعيب وآخرون .
وثّقه يحيى بن معين والنَّسائي والعجلي ، وذكره ابن حبّان في الثقات ، وروى له البخاري ومسلم . (تهذيب التهذيب : ٢٥٨/١٠) .

(٢) تهذيب التهذيب (٤٧٧/١٢) .

(٣) صحيح مسلم (١١٦/٢) كتاب الصلاة ، باب : وقت العشاء وتأخيرها .
« وحتى نام أهل المسجد » : هذا محمول على نوم لا ينقض الوضوء ، وهو نوم الجالس ممكناً مقعده .

العربية ، وصاحب الغلبةِ على مُلْكِ الأكاسرة والقياصرة والفراعنة ، ومدبّر الحُكْم في المدينة المنوّرة ـ رجلاً يعيش في بيته عيشة الكفاف ، يقنع من الغذاء والكساء بحظ لا يتمناه كثير من الرّجال ، ويزهد فيه كثير من النّساء .

* وليس عجباً أن يخطبَ الخليفة عمر بعض النّساء ، فيأبين عيشه ، لأنّه كما وصفته أمّ أبان بنت عتبة بن ربيعة ـ وكان قد خطبها فرفضت ـ : إنّه رجلٌ أذهله أمْرُ آخرته عن أمر دنياه ، كأنّه ينظر إلى ربّه بعينه .

* وهذا ما كان وحدث لأمّ كلثوم بنت أبي بكر مع أمير المؤمنين عمر ، فقد خطب سيدنا عمر أمّ كلثوم إلى أختها عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ ، وأرسل لعائشة في ذلك ، فقالت له : الأمر إليك ، ثم سألت أختها ـ أمّ كلثوم ـ فأبَتْهُ وقالت : لا حاجة لي فيه ، فزجرتها عائشة وقالت : أترغبينَ عن أميرِ المؤمنين ؟ ! .

قالت : نعم ، إنّه خشنُ العيش ، شديدٌ على النّساء ، ولا طاقةَ لي بذلك .

* وكرهت أمُّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنْ تَجْبَه عمر بالرَّفْضِ ، فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص[1] ـ رضي الله عنه ـ فأخبرته ، ووسطته أنْ يحتالَ لعمر برفْقِهِ وحُسْنِ تدبيره ، فقال عمرو : أكفيك .

(١) في الأغاني (١٣٩/١٣) ، والعقد الفريد (٨٩/٦ و ٩٠) أن المغيرة بن شعبة هو الذي قام بالوساطة بدلاً من عمرو .

فأتى عمر وقال له : يا أمير المؤمنين ، بلغني خبرٌ أعيذك بالله منه .

قال : وما هو ؟ .

قال : خطبت أمّ كلثوم بنت أبي بكر ! .

قال : نعم ، أفرغبتَ بي عنها ، أمْ رغبت بها عني ؟ .

قال : لا واحدة ؛ ولكنّها حدَثة ، نشأت تحت كنف أمّ المؤمنين في لينٍ ورفق ، وفيك غلظةٌ ، ونحن نهابك ، وما نقدر أنْ نردَّك عن خُلُق من أخلاقك ؛ فكيف بها إنْ خالَفَتْكَ في شيءٍ فسطوتَ بها ، كنتَ قد خلفتَ أبا بكر في ولده بغير ما يحقّ عليك ؟ !! .

ولكنّ عمرَ العبقريَّ الذكيَّ فهم أنَّ عمرو بنَ العاص ؛ لا يقدم على هذه الوساطة بغير موسِّط ، وأنَّ في الأمر ممانعة على نحو من الأنحاء ، فسأله كأنّه يستطلع مَا وراءه من هذه الممانعة وقال : فكيف بعائشة وقد كلّمتها ؟ .

قال : يا أمير المؤمنين ، أنا لك بها ، وأدلك على خير منها ، أمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، تعلّق منها بنسب من رسول الله ﷺ .

* * *

(١) عن تاريخ الطبري (٥٦٤/٢) ، والبداية والنهاية (١٤٤/٧) بتصرف يسير .
وأودّ هنا ألا أترك هذه الحادثة تمرُّ دون تعليق ، فقد كانت قسوة سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ غلافاً ، فلا تطول بالناس عشرته حتى ينقشعَ هذا الغلاف عن قلب مفعم بالعطف والمودة ، مفتّح الجوانب لكلّ عاطفة كريمة ، فنساؤه اللاتي عاشرنه قد كلفْنَ بحبّه ، ورضين بمودته وعطفه ، واقرأ في هذا سيرة زوجه عاتكة بنت زيد في كتابنا « نساء من عصر النبوة » الجزء الأول ؛ تَرَ من خلال ذلك مصداق ما قلناه من خلال رثائها لعمر ، ولولا مودته التي تنفذ إلى القلوب لما بكته عاتكة ذلك البكاء الشديد ـ رضي الله عنه وعنها ـ .

إنّكِ مُوَفَّقَةٌ بنتُ مُوَفَّقٍ :

* تزوّج أمّ كلثوم بنتَ أبي بكر ، سيّدنا طلحةُ بن عبيد الله ـ رضي الله عنه ـ ، فولدت له زكريا ، ويوسف ، وعائشة بنت طلحة .

* وعاشت أمّ كلثوم مع زوجها طلحة عيشة المؤمنة العابدة الرّاضية ، وكانت خير زوجة ، وخير أمّ ، وما حَمِدَ النّاس فضيلة للمرأة بنتاً كانت أو زوجاً أو والدة ، إلا وكانت أمّ كلثوم فيها على أجملها وأسماها ، وأحقّها بالتّمجيد والإكبار .

* فقد كانت أمّ كلثوم ـ رحمها الله ـ ، ورثَتْ عن أبيها الكرم ، ـ ومَنْ كأبي بكر في الكرم ؟ ـ كما نشأت في تربية أختها عائشة ـ رضي الله عنها ـ ، وعائشة مشهورة بالجود والكرم ، مشهود لها بهذه الفضيلة ، ثم إنَّ طلحة ـ زوج أمّ كلثوم ـ قد سماه النّبيّ ﷺ : طلحة الخير ، وطلحة الفيّاض ، وطلحة الجود ، وبين هذه الخصال الحميدة عاشت أمّ كلثوم تشجع زوجها على المضي في الإنفاق في وجوه الخير ، وشهد شاهد من أهل طلحة لأمّ كلثوم بهذه الفضيلة ؛ فقد ذكر موسى بن طلحة بن عبيد الله ، أنَّ أباه طلحة ـ رضي الله عنه ـ أتاهُ مالٌ من حضرموت سبعمئة ألف فبات ليلته يتململ .

فقالت له أمّ كلثوم : مالك يا أبا محمد ؟ .

قال : تفكرتُ منذ الليلة فقلتُ : ما ظَنُّ رجلٍ بربِّهِ ، يبيت وهذا المال في بيته ؟ ! .

فقالت : فأين أنت عن بعض أخلائك ، فإذا أصبحت فاقسمها .

فقال لها ـ وقد سُرّ برأيها وذهب عنه ما كان يجده ـ : رَحمكِ الله ! إنّكِ موفقةٌ بنت موفقٍ . قال موسى ـ وهي أم كلثوم بنت أبي بكر ـ .

فلما أصبح ، دعا بجفان ، فقسمها بين المهاجرين والأنصار ، فبعث إلى عليٍّ ـ بن أبي طالب ـ منها بجفنة .

فقـالت له أمّ كلثـوم : أبـا محمد ! أما كان لنـا في هذا المـال من نصيب ؟ .

قال : فأين كنتِ منذ اليوم ؟ فشأنك بما بقي .

قالت أمّ كلثوم : فكانت صرّة فيها نحو ألف درهم[1] .

ولا شكَّ في أنَّ أمّ كلثوم قد سارعت هي الأخرى بالإنفاق ؛ لتحوز فضيلة الكرم ، فبعثت بالدّراهم إلى مستحقّيها .

* وظلّت أمّ كلثوم مع زوجهـا طلحة إلى أنْ قُتلَ يوم الجمل سنة (٣٦ هـ) ، عندئذ أخرجتها عائشة إلى مكة ، وورد أنَّ عائشة ـ رضي الله عنها ـ ، حجّت بأختها أمّ كلثوم في عِدّتها من طلحة[2] .

* * *

(١) سير أعلام النبلاء (٣١/١) بتصرف يسير .

(٢) الطّبقات الكبرى (٤٦٢/٨) و « العِدّة » : مأخوذة من العدّ والإحصاء ، أي ما تحصيه المرأة ، وتعدّه من الأيام والأقراء . وهي المدة التي تنتظر فيها المرأة وتمتنعُ عن التزويج بعد وفاة زوجها أو فراقه لها . وعدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً ما لم تكن حاملاً .

ويقول الفقهاءُ : ويجبُ على المعتدة أنْ تلزمَ بيت الزّوجية حتى تنقضيَ عدتها ، ولا يحلُّ لها أن تخرجَ منه ، ولا يحلُّ لزوجهـا أنْ يخرجها منه ، ولو وقعَ الطّلاق ، أو =

بَعْدَ طَلْحَةَ :

• بعد مقتل طلحة ـ رضي الله عنه ـ ، تزوّجت أمّ كلثوم عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميّ ـ عمّ الشّاعر المشهور عمر بن أبي ربيعة ـ فولدت له عثمان ، وموسى ، وإبراهيم ، وأمّ حميد ، وأمّ عثمان(١) .

• وظلّت أمّ كلثوم بنت أبي بكر ـ رحمها الله ـ تتابعُ حياتها في المدينة تحت ظلالِ فقهِ أختها عائشة أمّ المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ .

• ولم تُشرِ المصادرُ إلى تحديد وفاة أمّ كلثوم ، ولم تذكر كذلك مكان وفاتها ، ولكنَّ الدلائل تشيرُ إلى أن وفاتها كانت في المدينة المنورة .

• ويبدو أنَّ وفاتها كانت بعد سنة (٥٨ هـ) ، أي بعد وفاة أختها عائشة أمّ المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ .

= حصلتِ الفرقةُ ، وهي غير موجودة في بيتِ الزوجية وجبَ عليها أنْ تعودَ إليه بمجرّدِ علمها بذلك .

وللفقهاءِ أقوالٌ في خروج المتوفى عنها زوجها ؛ فذهب بعضهم إلى أنْ تخرجَ نهاراً وبعضَ الليل ولكنْ لا تبيت إلا في منزلها ، وذلك أنَّ سببَ خروجها هو إصلاحُ حالها وشؤونها وأمور معيشتها .

ولهذا فقد كانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ تفتي المتوفى عنها زوجها بالخروج في عدتها ، وخرجت بأختها أمّ كلثوم حين قُتل عنها طلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنه ـ إلى مكةَ في عمرةٍ أو حجٍّ .

وهذا باب واسع ؛ يُراجع في كتب الفقه كالأم للشّافعي .

(١) أنساب الأشراف (٤٢١/١) ، وجمهرة أنساب العرب (١٤٧/١) ، وتاريخ الإسلام (١٣٦/٤) ، والطبقات (١٧٢/٥) .

* وهكذا طويت صفحةُ تابعية كريمة الأعراق ، طيّبة الأخلاق ، فرحم الله أمَّ كلثوم بنت أبي بكر ، فقد كانت بحقّ خير ابنـة ، وخير زوجة ، وخير أمّ ، وخير متعلّمة ومعلّمة ـ محدثة ـ ، وحقٌّ لها أنْ تكون قدوة لغيرها ، ومثلها فلتكن النّساء .

* * *